القضاء والقدر. كيف يكون ذلك؟ وشو عدا ما بدا؟
أسباب البيان غامضة، وزاد من غموضه ورود عبارتين لم تفلح المناقشات اللاحقة في توضيح مغزاهما. العبارة الأولى هي «إطفاء نار الفتنة»، والعبارة الثانية «استغلال القضية من طرف ثالث». ما يدفع إلى التساؤل عن هوية «الطرف الثالث» الذي يضع مسألة مطلبية أو احتجاجاً على معاناة إنسانية في إطار «فتنة» يجب «إطفاء نارها».
واللافت أيضاً، أنه بعد بيان الوالد كرت سبحة اعتذارات من الأونروا وأطبائها، فاحت منها رائحة التملق، لدرجة أن شخصاً يبدو من أقرباء الطفل يرد ممتعضاً بتعليق له (على الفايسبوك) «لم يبق سوى أن نحضر الطفل من القبر ويتقدم بشديد الاعتذار ممن يرغب، لكونه هو السبب في إزعاج البعض وهدر وقتهم!». منذ وفاة طفل عين الحلوة، مروراً بوفاة خمسة من أبناء البداوي، ومع وفاة ابن البارد، يتكرر غضب النازحين وتتكرر لوعتهم وشكواهم من بؤس واقعهم الصحي وتراجع تقديمات الأونروا الطبية وغيرها من الجهات الداعمة. لم يبق لهم الا الاحتجاج، فمن هو الطرف الثالث، ذو النفوذ على مخيم نهر البارد لدرجة إجبار اهال مفجوعين بوفاة ابنهم بالإهمال، حتى انهم كانوا يعتزمون عدم دفن ابنهم ووضعه امام عيادة الاونروا المتهمة، لإصدار بيان هو اشبه ببيان اعتذار؟ من المسؤول عن تخويف الاهالي؟ وبم إخافهم؟ يبدو أن الأفواه مكممة حتى الآن.
اما لجنة التحقيق، فحتى كتابة هذه السطور لم تسفر تحقيقاتها عن نتيجة كما فهمنا بعد اتصالات عدة معها.

«هيا بنا نقتحم المخيم» لن يكتب لها النجاح. وأؤكّد لكم ان شعب الجبارين الذي يحبه المقاومون الشرفاء، والمعروف ممن قاتله بأنّه «مقاتل شرس ما بموت»، لن يسمح بتكرار توحش الجبن من الفاشيين أمثال سمير جعجع، حين قتلوا أطفال ونساء صبرا وشاتيلا العزّل من السلاح، ومن هنا قلنا ان سلاحي البعيد مجزرة. فيا أنت أدرك (إن كان باستطاعتك الإدراك) انه على باب المخيم، يوجد أطفال يقبضون بكلتا اليدين على يوم النكبة، فيدقون رأسه بالأرض. ويتربصون للمستقبل فيذيقوا العدو الصهيوني معنى الخوف حتى الارتعاش، والهزيمة حتى الزوال. لن أعيد عبارات من قالوا ان أمن المخيم هو من أمن لبنان. وكذلك لا حاجة إلى ذكر أن العلم اللبناني يجاور العلم الفلسطيني على باب المخيم. ولأني اعرف ان شعبنا يصنع المعجزات، فإني أؤكّد ما تقوله عاملة الهاتف «إن الكلفة الأدنى لهذا الاتصال تتخطى رصيدكم».

* عضو كتيبة 5

مسافة الطريق

الجسد الفلسطيني يزداد شباباً

أحيا الفلسطينيون مناسبة يوم الأرض «ومسيرة القدس العالمية». في دول الطوق كانت التحركات باهتة. أما القلب، فكان في الداخل، حيث سقط شهداء وجرحى

قاسم س. قاسم

توجه اللاجئون الفلسطينيون الى قلعة الشقيف في يوم الأرض، الجمعة الماضية. وقفوا وتأملوا بلادهم من هنا، بعيدة عن العين، لكنها قاب قوسين او أدنى من القلب. شاهدوا من على تلك التلة المرتفعة، مساكن اسرائيلية تقبع فوق تراب قراهم. هي ليست كقراهم بيوتاً رغم اختلافها تبدو من طينة واحدة، بل كأنها صُبّت في قالب عسكري واحد. أسماء تلك المستوطنات محفوظة عن ظهر قلب، كمواقع عسكرية متقدمة. فهي كانت أهدافاً لصواريخ المقاومتين اللبنانية والفلسطينية. هكذا أحيا فلسطينيو لبنان «مسيرة القدس العالمية» بالمسير جنوباً، وفيما كانت أجسادهم حبيسة الجغرافيا، طافت أرواحهم جنوب الجنوب، باتجاه الأرض التي أخرجوا منها، والتي اليها ترنو أرواحهم دائماً.
الفلسطينيون في الداخل والخارج أحيوا المناسبتين. قطاع غزة المعتاد تقديم الشهداء كعادته دفع دماً هذه المرة. أما الضفة الغربية معقل الانتفاضتين الاولى والثانية، التي اشتاق أبناؤها إلى مواجهة الجنود على المعابر، فقدمت في ذلك اليوم مئات الجرحى خلال مواجهة الصهاينة. هذا العام اختلف طعم يوم الأرض، ففيه تغيرت أنظمة عربية عدة كانت تقمع كل من يحاول الخروج نصرة لفلسطين وأبنائها، لكن رغم «التغيرات»، بقيت التظاهرات التي شهدتها دول العالم، وخصوصاً دول الطوق المشغولة بحروبها الداخلية، رمزية. هكذا كان التحرك الأهم بالنسبة إلى هذا اليوم هو الداخل الفلسطيني، حيث كان لكل شيء طعم خاص يذكّر بما قاله الشاعر الفلسطيني محمود درويش «الطريق إلى فلسطين لا يمر إلا من فلسطين».
المشهد في الضفة ذكّر بالانتفاضة الثانية عندما لم يكن باليد غير ذاك الحجر. أما في قطاع غزة، فقد قيل إن التظاهرات لن تصل الى المعابر مع العدو، لكنّ الغزيين فعلوها وفاجأونا: صلوا واشتبكوا مع العدو وسقط منهم شهيد.

الطريق إلى فلسطين لا يمر إلا من فلسطين

اختلف المشهد بين الداخل والخارج. في لبنان مُنع اللاجئون من الوصول الى الحدود، واستُعيض لهم عنها بقلعة الشقيف المشرفة على ارضهم، أما في مصر المشغولة بانتخابات رئاستها والمعركة على دستورها، فلم يغصّ فيها ميدان تحرير للمطالبة بتحرير القدس، بينما شهد الأردن التظاهرة الأكبر لسبب ما.
في يوم الارض ايضاً، في الداخل على الأقل، لم يكن هناك فرق بين عربي متظاهر وأعجمي متضامن. كان الجميع فلسطينياً، مجمعاً على قضية واحدة، ومطلب واحد: تحرير فلسطين من البحر الى النهر، لكن من بين هؤلاء المتضامنين هناك من هو مقتنع بفكرة تحرير جزء من فلسطين عبر التفاوض، وهناك من هو مقتنع بتحريرها عبر المقاومة، لكن غرقه في مستنقع السياسة أبعده ولو مؤقتاً عن ذلك، وهناك فئة صغيرة قررت الابتعاد عن وحل الحسابات السياسية وقيود السلطة، وتفرغت لعمل المقاومة.
أما الأهم من بين هؤلاء جميعاً، فهو ذلك المسن الذي يقضي وقته في المخيمات، ليروي لأبنائه وأحفاده عن فلسطين وعن شبابه هناك، ليحفر في الذاكرة والقلب قصة وطن محتل.
فلسطين هذا العام كانت قريبة، وفي كل عام نقترب خطوة منها، إذ رغم الخلافات التي سبقت الاحتفال الذي أُقيم في قلعة الشقيف، ومقاطعة بعض أبناء المخيمات لهذه المناسبة بسبب احتكار الفصائل الفلسطينية وسائل النقل الى القلعة، فإنّ في «الحركة بركة»، وذلك كي لا يخمل الجسد الفلسطيني. فبرغم مرور 64 عاماً على النكبة الا أن الجسد الفلسطيني لا يزال يزداد شباباً.

بعدسة أهلها

يركب الشابان وسيلة النقل الأسرع والأوفر في غزة، وهي «التكتك» كما يطلق عليها أبناء القطاع. فوسيلة النقل هذه هي المفضلة للغزيين؛ إذ إنها توفر الوقود، المادة الأغلى في القطاع هذه الأيام. كذلك إنها الوسيلة الأسرع لنقل بضائع الأنفاق إلى التجار. «التكتك» مصدرها مصر، ويجري إدخالها عبر الأنفاق قطعاً، وتُجمع في الأراضي الفلسطينية؛ لأنه ببساطة الحاجة أم الاختراع. (تصوير شعيب أبو جهل)

رسائل صبابة وحنظلة

هل تعرف غزة؟

تحدثُ في غزة مُعجزات واقعية: يحدثُ أن تتغيَّر ساعتك البيولوجية، كل يوم، على مزاج وكَيف الحكومة التي تتحكم في مواعيد زيارات الكهرباء. أقول مصطلح «زيارات» لأنها تأتي وتذهب بخجلٍ من يخاف أن يفهم أنه يعتزم الإقامة، أو خوفاً من العقاب كطفل يطلّ برأسه ثم يهرب!
يحدثُ أن تمشي في الشارع، في عزِّ البرد، أو في عزِّ الحرّ، والاثنان متوافران لدينا، ليس نشاطاً رياضياً أو ترفيهياً، ولكن لتحفظ بعضاً من كبريائك؛ لأنه «ولا سيارة سرفيس تتوقف لك»، وحتى لو وضعت ريشة حمراء فوق رأسك «ما حنّت عليك سيارة»!
ولو خرجت في مقابلة ما، لاستطلاع آراء الناس في طريقة إدارة حكومتنا للقطاع، فإنك تقول ببساطة ما يُنجِّيك، وقد عُلِّمتُ أن الصدق خيرُ مُنجٍّ، أولم نُعلَّمُ هذا؟! تأتي صاحبتي، تركض خلف خطواتي «هيي.. هيي.. ما تلتفتي، أخدو اسمك في الشرطة، انتبهي لحالك.. سلام»!
يحدثُ أن تبكي، وأنت تعرف أنه لا أحد يرى نفسه في المرآة ليراكَ أنت! الكل مشغول كيف يُدبِّرُ معاش يومه. نحن في غزة أشبه بثور الساقية! ندور وندور، ولكن لا حقول خضراء توجد، أو لا نجد هذا الوقت الفارغ والكافي لنسأل أنفسنا: هل نحتاج إلى نزهة؟
وتتوسَّل صديقك ألا يعتبرك عميلاً لليهود إذا ما قلت: «والله كنا عايشين ملوك أيام ما اليهود كانت بغزة. بالنسبة لهلق!».
«هل تعرف غزة؟»، عزيزي الإنسان؟ ربما. وسواء كنت تعرفها أو لا، والله لن تعرفها إلا حين تعيش فيها. حين تقرأ كتاباً على ضوء شمعة، وحين تضطر إلى أن ينتابك صراع لاستغلال كل لحظة كهرباء، ستدخر مصروف المنزل لتعبئة أسطوانة الغاز، سيذهب أطفالك من دون مصروف؛ لأن هناك سوء تفاهم بين الحكومة والبنوك!
أكثر من اعتصام يُقام يومياً، ستتمنى لو أنك كنت أكثر من شخص، لتوزِّع نفسك عليها كلها، وتُناصر القضية «أقصد القضَايا» العالقة التي لا يبقى منها في النصوص الموزعة على الإعلام سوى «نشجب ونستنكر» من قِبل المسؤولين!
ستمشي كثيراً، أو تضطر إلى أن تكون «عجينة بشرية» بجانب ثلاثة رُكَّاب في الكرسي الواحد. يُعجبُك أو لا، هذا هو الموجود يا أخي!
يحدثُ أن تكون رقماً لا اسماً، حين يمُنُّ الله عليك بشهادة، أو إصابة!
فابتسم هذه غزة.

غزة ـ أماني شنينو

لن يعرفوا القطاع!

لا أستطيع أن أكذب عليكِ وأقول لكِ بلى أنا أعلم ما يحصل في غزّة، وأشعر بما يشعرون، ولو كان قلبي عندهم. فلا أحد يدري ما يحصل في غزّة سوى أهلها الكرام، الصابرين على غلّ الحصار الداخليّ والخارجيّ و«التطنيش» العربيّ والعالميّ.
عند قراءتي لما كتبت لي، «اقشعر بدني خيتا! شعرتُ بضياع؛ فأنا لا أدري ماذا أقول! وكيف أساعدكم على حلّ الأمور العالقة هذه في مشنقتي التاريخ والجغرافية العربيّتين».
كلّ ما فعله العرب هو الاعتذار. يقولون «نعتذر غزّة، نحن لم ننسك، ولكنّ أموراً أخرى شغلتنا عنكِ». وهناك المزيد من الأعذار «اللي صاير بغزّة هاد إلهاء عن اللي صاير بسوريا، (إسرائيل) بدها تحمي مصالحها»، والمزيد المزيد من التفاهات التي لا تساوي شيئاً أمام نفسٍ من طفلٍ غزّيّ مات بسبب التوقف الفجائيّ لجهاز التنفّس الاصطناعي، بسبب انقطاع الكهرباء. نسوا قضيّتنا، وأنّها القضيّة الأساس، فقدوا نعمة المنطق، وأنّ كلّ المشاكل تحل بحل قضيّة فلسطين!
«ما علينا. الحكي لا بيقدّم ولا بيأخّر». المهم، رأيت اليوم في نشرة الأخبار، أنّ أزمة الكهرباء في غزّة دخلت مرحلة الحل، بعدما أدخلت مصر مخزوناً من المحروقات إليكم. أتمنّى أن يكون كلّ هذا الكلام صحيحاً.
وللأسف، إذا بدأتُ الآن بالتكلّم على حالتنا نحن أيضاً، الفلسطينيين في الشتات، فلن أنتهي! من قوانين مجحفة بحقنا كقانون العمل في لبنان، حيث هناك أكثر من 60 مهنة ممنوعاً علينا العمل فيها، فقط لكوننا لاجئين فلسطينيّين. لا أحد يأخذ في الاعتبار أن المؤقت أصبح باستمراره حكماً مؤبداً. إلى حق التملك، حيث إنه ممنوعٌ علينا امتلاك حتى منزلٍ يؤوينا. وإن كنّا مالكين لأحد البيوت، فبعد موتنا ليس لنا أن نورثه لأولادنا. من يرثنا هو الأوقاف السنية. كأنها أعز علينا من أولادنا. ولا ننسى التمييز العنصري و.. و..! كلنا نعاني حسب أوضاعنا. قد لا تكون متشابهة، ولكن النتيجة واحدة، كأنّه قانونٌ قد بُتَّ لنا وحدنا! أنت فلسطيني، يجب أن تعاني! لا يشعر بنا غيرنا، ولا يعرف ما نحن وما بنا إلّا أنفسنا، فلا تسَلي، لن يعرف غزّة إلّا من كان بغزّة!

مخيم البداوي ـ تانيا نابلسي